لقاء مع مجلة "نداء الإسلام"

نوفمبر 1996

● ما هي السياسة التي ينبغي اتّباعها تجاه العلماء المدافعين -بقصدٍ أو دون قصد- عن النظام السعودي؟

إنها حقيقة لاتخفى على أحد بأن الدول الأمنية في العالم العربي تعتمد على بعض المؤسسات بغرض حماية نفسها، ومن بين هذه المؤسسات المؤسّسة الأمنيّة، والتي ينفقون عليها الأموال بسخاء، والمهمة الأولى لهذه المؤسسة هي مراقبة شعوبهم والتّجسس عليهم، وذلك بغرض حماية شخص الحاكم، حتى لو كان ذلك على حساب حقوق هذه الشعوب وأمنها.

وهناك أيضا القطاع العسكري، المعدُّ لضرب الشّعب إذا ثار ضد القمع والاضطهاد وأراد أن يُزيل الظلم ويُقيم الحق.

وهناك قطاع الإعلام، الذي له نفس الدور حيث يسعى لتجميل صورة الحكام ليبقى الشعب مخدَّرًا، ولتحقيق مايصبو إليه العدو من إشغال الناس بأمور ثانوية، حيث يعمل هذا القطاع على إثارة مشاعر الناس ورغباتهم ليعم الفساد بين المسلمين.

وهناك مؤسسة علماء السلطة، والتي تلعب دورًا أساسيًا لدى الحكام في العالم العربي بما تقوم به من تضليل الناس وفتح الباب أمام القطاعات الأمنية لتحقيق أهدافها -السابقة الذِّكر-، ويُعد دور هذه المؤسسة الأخطر في البلدان العربية بأجمعها.

● التاريخ خير شاهد على ذلك.

في ذات الوقت ورغم أن بعض الحكام العرب واقعون في الكفر الصريح الذي يُخرجهم من ملة الإسلام في وضح النهار وعلانيةً، فإنه من الممكن أن تجد فتاوى من مؤسساتهم الدينية تبرّر لهم ذلك، يُعد دور المؤسسة الدينية -وخاصة في بلاد الحرمين الشريفين- من أكثر الأدوار شؤمًا؛ فهُم جزءٌ من هذا الدور سواء كان ذلك بقصد أو بدون قصد، والضرر الحاصل من مساعيهم لا يختلف عن دور الأعداء الحاقدين على هذه الأمة.

لقد أعطى النظام في بلاد الحرمين الشريفين هذه المؤسسة أهميةً بالغة، وعمل على تعزيز يمن أعضاء هذه المؤسسة.

ومع كل ذلك فلا يزال يوجد في بلاد الحرمين الشريفين –وبفضل الله– عددٌ جيّد من العلماء الصادقين وطلبة العلم الذين يسيرون على نهجهم، حيث وقفوا مواقف واضحةً وجريئةً ضد أنشطة الكفر التي يعمل هذا النظام من أجلها.

سعى هذا النظام لتهميش دور هؤلاء العلماء الصادقين، ومِن ثم التخلص منهم بطريقة أو بأخرى؛ لكونهم عناصر فعّالةً في حياة الناس والمجتمع، وفي مقدمة هؤلاء العلماء كان الشيخ عبد الله بن حميد –رحمه الله– الذي كان مفتي الجزيرة العربية، وترأّس المجلس الأعلى للقضاء، ومع ذلك اعتقله النظام السعودي وضيّق عليه حتى قدّم استقالته، له كتاباتٌ مشهورةٌ كردّ فعلٍ على التشريعات غير المقبولة التي أقَرّتها الحكومة بدلًا من شرع الله،كان أحد هذه التشريعات أطروحةٌ تعالج قانون العمل والعمال، حيث ردّ فيها الشيخ على عددٍ من التشريعات الدَّخيلة، والتي تتنافى مع شرع الله.

منذ أكثر من عشرين سنة بدأوا بخطتهم الماكرة وفي مقدمتها التّرويج لعلماء بعيدين عن الشيخ عبد الله بن حميد –رحمه الله–، والذين عُرف عنهم الضّعف والتّهاون، وخلال العقدين المنصرمين عزّز النظام السعودي من دور الشيخ ابن باز –المفتي العام للمملكة– لما عُرف عنه من ضعفٍ وتهاونٍ، ومن سهولة التأثير عليه بمختلف الوسائل التي كانت تمارسها وزارة الداخلية، وذلك بتزويده بمعلومات كاذبة؛ لذلك نشأ جيلٌ من الشباب معتقِدًا أنّ ابن باز هو الشخص الأكثر ورعًا؛ نتيجة لما روجّه الإعلام عبر سياسة مدروسة استمرّت لأكثر من عشرين عامًا.

ومن بعدها بدأت الحكومة تضرب بعصا ابن باز كلَّ برنامجٍ إصلاحي كان يثيره العلماء الصادقون، وانتُزعت منه فتوى يُسلّمون فيها فلسطين لليهود، وقبل ذلك فتوى تأذن لدخول الصليبيين الجدد إلى بلاد الحرمين الشريفين بذريعة مبدأ الضرورات.

ومن ثم اعتمدت على رسالة منه إلى وزير الداخلية لوضع العلماء الصادقين في السجن، ومع ذلك كان الثمن باهظًا حيث تزعزعت ثقة الناس بابن باز، في حين ازدادت ثقة الناس في العلماء الصادقين وخصوصًا القابعين في السجون.

كانت سياسة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الاستمرار بتقديم النصح لهم سرًا وعلانية –حيث أنه لا يوجد شخصٌ فوق القانون، ونحن غير معصومين– وخصوصًا في المسائل التي أعطوها أحكامًا عامة، وإحضار

أحكام العلماء الذين استجابوا لأحكامهم لكي يُضلّلوا وعي الناس بأنها الأحكام الصحيحة، بغض النظر عن تلك الأحكام، ولكي لا يحبطوا برنامج الإصلاح الذي أخبر به العلماء، لذلك كان الضغط عليهم كبيرًا.

● كيف تقيّم السياسة الخارجية للنظام السعودي تجاه العالم الإسلامي السنوات القادمة؟

ارتبطت السياسة الخارجية للنظام السعودي تجاه قضايا العالم الإسلامي منذ تأسيس المملكة العربية السعودية 1364هجري-1945ميلادي- بالسياسة البريطانية، ومِن بعدها ارتبطت بسياسة الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن أصبحت قوةً رئيسية بارزة في العالم بعد الحرب العالمية الثانية، ومن المعروف أن سياسة هذين البلدين تحمل الكثير من العداء تجاه العالم الإسلامي.

نستطيع أن نستثني من هذا التصنيف المرحلة الأخيرة من حكم الملك فيصل إذ أصبح الاهتمام واضحًا بقضايا العالم الإسلامي وخصوصًا القدس وفلسطين.

على أي حال فإن هذا النظام لم يتوقف عن التباكي أمام الملأ بخصوص القضايا التي تهم العالم الإسلامي، وبدون أن يقوم بأي مساعٍ حقيقية لخدمة مصالح المجتمع الإسلامي، باستثناء بعض المساعي الصغيرة للتّشويش على الناس وذَرِّ الرّماد في العيون.

● سجلت المواجهة بين الحركات الإسلامية وهذا النظام المرتد تحولًا تاريخيًا تَبع الهجمات الأخيرة التي نُفذت ضد مصالح الاحتلال الأمريكي، كيف انعكست آثار هذه الهجمات على الصف الداخلي؟ وكيف أثرت على العلاقات الأمريكية السعودية؟

كان هناك تأثيرات مهمة لتفجيري الرياض على الصعيدين الداخلي والخارجي، يبقى الأهم بينها وعي الناس لمغزى الاحتلال الأمريكي لبلاد الحرمين الشريفين، وأن القرارات الرئيسية للنظام السعودي ما هي إلا انعكاسٌ لرغبات المحتل الأمريكي.

أدرك الناس أن الأمريكيين وأتباعهم في النظام السعودي هم السبب في مشاكلهم الأساسية -سواء كانت من النواحي الدينية أو من نواحي أخرى في حياتهم اليومية-، ازداد تعاطف الناس مع العلماء الصادقين الذين كانوا يقبعون في السجون، وزاد فهمهم لتعاليمهم وإرشاداتهم والتي أدت لدعم الناس لحركة الإصلاح العامة التي قادها العلماء والدعاة إلى الإسلام.

تزداد هذه الحركة –وبفضل الله– قوةً ومؤيدين يومًا بعد يوم على حساب النظام؛ فالتّعاطف مع هذه العمليات على الصعيدين المدني والعسكري كان كبيرًا، وكذلك تعاطف العالم الإسلامي مع الكفاح ضد الأمريكان.

أما بالنسبة للعلاقة بين النظام السعودي والأمريكان، فقد أربكت هذه العمليات كِلا الجانبين، وقادت إلى تبادل الاتهامات بينهما، ولذلك نجد الأمريكيين يُصرّحون بأنّ دواعي هذه التفجيرات هي السياسات الخاطئة لهذا النظام، والفساد المنتشر بين أفراد الأسرة الحاكمة، في حين يتهم النظام السعودي الأمريكيين بتجاوز حدودهم، وباستغلال النظام وإجباره على الدخول في اتفاقيات عسكرية ومدنية خارجة عن قدرته، مما أدى إلى هبوط اقتصادي كبير أثّر على حياة الناس.

إضافةً إلى ذلك تصرّف الأمريكيون بخشونةٍ وغطرسةٍ مع الجيش السعودي، وكان سلوكهم العام تجاه المواطنين سيئًا، وتمتّعوا بامتيازات فارقة عن الجيش السعودي.

لقد مهدت هذه العمليات الطريق لارتفاع أصوات معارضة للاحتلال الأمريكي داخل الأسرة الحاكمة نفسها والقوات المسلحة.

في الحقيقة يمكننا القول بأن باقي دول الخليج قد تأثّرت وبنفس الدرجة بهذه الهجمات، وأنّ أصوات المعارضة للاحتلال الأمريكي بدأت تُسمع على مستوى الأُسر الحاكمة وحكومات مجلس التعاون الخليجي.

كان الاختلاف في وجهات النظر بين الأمريكيين ودول الخليج قد ظهر للمرة الأولى منذ حرب الخليج الثانية، حدث هذا التوتر أثناء انعقاد مؤتمر وزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجي في الرياض للبحث في العدوان الصاروخي الأمريكي على العراق.

هذه الخلافات لم تكن سوى دليلٍ على التوتر الذي حدث في العلاقات بين أمريكا ودول المنطقة في أعقاب العمليات الجهادية ضد الأمريكان في الرياض، وكنتيجةٍ لخوف هذه الأنظمة من أنّ أراضيها قد تشهد عملياتٍ جهاديةً مشابهة.

● لوحِظ بأن المسؤولين الأمريكيين والسعوديين حاولوا ربط الهجمات الأخيرة ببعض البلدان الأجنبية، ما القصد من وراء هذه المحاولات؟

نتيجةً لتزايد ردود أفعال الناس ضد الاحتلال الأمريكي والتعاطف الكبير مع العمليات الجهادية ضد الأمريكيين، فقد كان ذلك دافعًا لدى الأمريكيين والسعوديين لنشر معلوماتٍ كاذبةٍ بقصد تشتيت هذا

التعاطف، ويمكن أن يلاحظ ذلك في تصريحاتهم التي يتّهمون فيها بعض بلدان المنطقة بالوقوف وراء هذه العمليات الجهادية داخل بلاد الحرمين الشريفين.

ومع ذلك فقد أدرك الناس بأن ذلك لم يكن إلا انتفاضةً داخليةً ضد الاحتلال الأمريكي الذي كشف عن نفسه بأوضح صورةٍ بعد عملية الرياض، التي قُتل فيها الأبطال الأربعة –الذين نحسبهم شهداء ونسأل الله لهم القبول–.

لقد أصبحت سياسةً اعتياديةً في الدول التي تواجه مشاكل داخلية بإلقاء المسؤولية عن هذه الأحداث على دول خارجية، وقبل أن تصبح عمالةُ الدول العربية لأمريكا واضحةً وبشكلٍ مؤلم، فإن القطاعات الأمنية لم تتردّد أبدًا في توجيه الاتهام لأيّ حركةٍ إسلاميةٍ إصلاحيةٍ بالعمالة لأمريكا وإسرائيل.

● ما هي خيارات النظام السعودي تجاه الانتفاضة الإسلامية؟ وما هي التوقعات المستقبلية؟

هناك عدة خياراتٍ أمام هذا النظام؛ أحد هذه الخيارات التصالح مع مختلف قطاعات الشعب؛ وذلك لإطلاق سراح العلماء وإجراء تغييرات جوهرية من أهمها العودةُ إلى أحكام الشريعة الإسلامية وتفعيلٌ حقيقي للشورى، قد يلجأ النظام لمثل هذا الخيار عندما يجد نفسه لقمةً سائغةً بيد الأمريكيين بعد أن أُثيرت العداوة ضد هذه الشعوب التي تشعر بأن الأمريكان تجاوزوا حدودهم سياسيًا واقتصاديًا.

بات النظام اليوم يدرك بأن الشعب أصبح واعٍ لحقه في المشاركة بالسلطة، وظهر ذلك جليًا في الفترة الأخيرة عبر تصريحات الصحافة الأمريكية التي قدمت تبريراتٍ للاحتلال الأمريكي، هذا الاحتلال الذي لم يأتِ إلا لسرقة ثروات الشعوب ووضعها في خدمة الأمريكيين.

يعتمد هذا الخيار على التوافق بين الناس الذين بيدهم الحل ولديهم القدرة على إحداث هذا التغيير، وفي مقدمتهم العلماء الصادقون.

بالنسبة للخيارات الأخرى؛ هناك خيارٌ صعبٌ وخطيرٌ للإطاحة بالنظام، وهذا يشمل التصعيد في المواجهة بين الشعب المسلم والمحتلين الأمريكيين، ومواجهة النزيف الاقتصادي.

أما الهدف المهم فيبقى الإطاحة بالنظام السعودي الحالي –بإذن الله–.

● بعيدًا عن الحملة الدولية الشرسة ضد الحركات الإسلامية، كنتَ شخصيًا هدفًا لهجمةٍ عنصرية؛ حيث اتُّهمت بتمويل الإرهاب والانتماء إلى منظمةٍ إرهابيةٍ عالمية. ما قولك؟

بعد أن انتهت الحرب الباردة صعّدت أمريكا حملتها ضد العالم الإسلامي عامة، هادفةً للتخلص من الإسلام نفسه، وكان التركيز الأساسي لهذه الحملة استهداف العلماء والمصلحين والمجاهدين على حدٍ سواء؛ لدورهم في تبصير الناس وتعريفهم بخطر التحالف اليهودي الأمريكي، ولحق بنا نحن أيضًا بعضٌ من تبعات هذه الحملة حيث تمّ توجيه الاتهام لنا بتمويل الإرهاب وبالانتماء لمنظّمةٍ إرهابيةٍ عالمية.

الهدف من الترويج لهذه الادّعاءات هو الضغط النفسي على المجاهدين ومن يقف إلى جانبهم ويدعمهم؛ كي يتخلوا عن واجب الجهاد ومقاومة الظلم والاضطهاد ومقاومة الاحتلال الأمريكي والإسرائيلي للأراضي الإسلامية المقدسة، ومع ذلك –وبفضل الله– لم يُكتب لحملتهم النجاح، حيث يُعتبر إرهاب المحتل الأمريكي واجب ديني ومنطقي، الشكر لله تعالى بأنه يسّر لنا الجهاد، وأيدنا ضد الهجمات الأمريكية والإسرائيلية على المقدسات الإسلامية.

أما فيما يخص اتهاماتهم لنا بإرهاب الناس الأبرياء من النساء والأطفال، فيمكن أن تُصنّف في خانة تضليل الجماهير بتوجيه الاتهام وإلقاء اللوم وتحميل المسؤولية في مشاكلها الداخلية على الآخرين، تُظهر الأدلة –وبشكل قاطع– أن أمريكا وإسرائيل هما اللتان تقتلان الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ في العالم الإسلامي وفي أماكن أخرى، بعض الأمثلة على ذلك شوهدت في مجزرة قانا الأخيرة في لبنان وموت أكثر من ستة آلاف طفل عراقي بسبب نقص الغذاء والدواء نتيجة الحصار والعقوبات الاقتصادية التي فُرضت على الشعب العراقي المسلم.

وكذلك سَحبُهم للقوات الموجودة لفض النزاع في البوسنة، تاركين المسلمين فيها ضحية للصرب المسيحين الذين ارتكبوا المجازر واغتصبوا بطريقة لم نشهدها في التاريخ المعاصر. ولا ننسى إلقاء القنابل الذرية وبشكل متعمّد على المدن المكتظة بسكانها من الشيوخ والأطفال والنساء، وتعمّدوا ذلك وبنفس الطريقة في حالة هيروشيما وناكازاكي. كذلك قتل مئات الآلاف من الأطفال العراقيين، والذين تستمر أعدادهم بالتزايد نتيجة للعقوبات.

ما زالت أمريكا تدعي بأنها ترفع راية الحرية والإنسانية على الرغم من استمرار احتلالها لبلد الحرمين الشريفين، حتى أن الحيوانات الأكثر افتراسًا لم تنحدر لمستوى ما ارتكبته الولايات المتحدة من جرائم.

أما بخصوص ما تتهمنا به أمريكا بقتل الناس الأبرياء، فإنهم لم يكونوا قادرين على تقديم أي دليل بالرغم من حجم الإنفاق على وكالات استخباراتها، برغمٍ ممّا يشهده التاريخ لنا في مرحلة الجهاد الأفغاني، وبالرغم من الحملة الروسية غير الإنسانية تجاه نسائنا وأطفالنا وإخوتنا في أفغانستان فإن جهادنا لم يتلطّخ بدم الأبرياء.

وبشكل مشابه –وبغضّ النظر عن خلافاتنا مع النظام السعودي– كل ما صدر منا يُثبت فرحتنا بقتل الجنود الأمريكيين في الرياض والخُبَر، وهذه هي مشاعر كل المسلمين، إن ما نشجعه وندعو إليه المسلمين هو الالتحاق بالجهاد ضد المحتلين الأمريكيين والإسرائيليين، والذي يُعتبر واجبًا دينيًا.

أمرنا اللهُ تعالى في آياتٍ عديدةٍ أن نقاتل في سبيله ونحُضّ المؤمنين على القتال؛ قال تعالى: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا}، وقال أيضا: {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا}، وقال أيضا: {فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ}.

عاهدنا اللهَ أن نستمر في الجهاد ما دام الدم ينبض في عروقنا وعيوننا ترى، ونرجو الله أن يتقبّلنا ويرزقنا حسن الخاتمة لنا ولجميع المسلمين.

● *ذكرت بعض المصادر الإعلامية بأن الحكومة الأفغانية طلبت منك أن تغادر البلد، ماصحة ذلك؟*

لم تطلب منا الحكومة الأفغانية أن نغادر البلد، الفضل لله وحده علاقتنا مع إخوتنا المجاهدين في أفغانستان علاقةٌ واسعةٌ وقوية، حيث اختلط الدم بالعرق كما ترسخت العلاقات عبر سنين طويلة من الجهاد ضد الاتحاد السوفياتي، إنها ليست علاقة عابرة ولا علاقة مبنية على العلاقات الشخصية، لقد دافعوا عن دين الله تعالى ويبقى ذلك البلد كما عهده المسلمون دوما حصنًا منيعًا للإسلام، وشعبه من أكثر المدافعين عن دين الله والمتحمس لتطبيق شريعته وتأسيس دولة إسلامية.

تلك المرحلة العابرة من الاقتتال أحزنتنا كما أحزنت المسلمين كافة، وعلى أية حال نود أن نشير بأن صورة الأحداث كما رسمتها الصحافة العالمية قد شُوّهت على نحو كبير، وأن هذا الاقتتال كان أصغر وأقل حدة مما كان يتصوره المسلمون في الخارج، وأن البلد في معظمه يعيش حياةً هادئةً وطبيعية، باستثناء بعض الجرائم الصغيرة هنا وهناك، كما حاولت بعض العناصر أن تعيث الفساد في البلد مستغلة النزاعات بين بعض الجماعات.

نأمل أن تستعيد أفغانستان قريبًا –إن شاء الله– دورها الإسلامي الذي يليق بتاريخها الجهادي.

● *ما هي مسؤولية المسلمين تجاه الحملة الدولية على الإسلام؟*

إنه ليس لدينا أدنى شك أن هذه حملةٌ صليبيةٌ يهوديةٌ شرسةٌ على الإسلام، والتي لم نشهد مثلها من قبل، لذلك يجب على المسلمين الاستعداد بكل إمكانياتهم وقواهم لصد العدو عسكريًا واقتصاديًا، وفي المناطق التي يُبشرون فيها وغيرها من الأماكن.

إنه من الضروري أن نكون صبورين، ونتعاون بِورعٍ وتقوى، وأن نرفع وعي المسلمين بحقيقة أن الأولوية الكبرى بعد الإيمان هي دفع العدو الصائل الذي يفسد الدين ويعيث فسادًا في العالم، ولا شيء بعد الإيمان أولى من ذلك –كما قد ذكر العلماء في هذه القضية– إنه لَمِن الضروري أن نترك الكثير من قضايا المشاحنات في سبيل توحيد صفوفنا لنتمكن من رد الكفار، علينا جميعًا أن نطبق قول الله تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}، ولا نكون كالذين وصفهم الله تعالى بقوله: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}.

إنه من الضروري أن نتعاون ولا نتشاحن وأن نتقي الله في شأننا كله، يقول رسول الله ﷺ "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت"، وعلينا أن نتّبع سنة الرسول ﷺ عندما قال: "بشّروا ولا تنفّروا ويسّروا ولا تعسّروا".

نسأل الله أن يهدينا وأن يعز المسلمين ويُذل الكافرين، وأن يُحكّم شريعته حيث يسود الخير ويزول الشر.

وصَلِّ اللهم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله، وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

[مجلة نداء الإسلام، العدد 15]